Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 18:3 (1983

تأملات حول مستقبل الحضارة العربية والاسلامية

الاستاذ ابراهيم غافة

أتى الاسلام ثورة فى الاخلاق وفى التنظيم الجماعى وفى تجنيد وصهر القبائل العربية للقيام بالدعوة المحمدية ونشرها فى كل آفاق المعمورة .

الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، التثقيف فى الدين ، المساواة والحرية ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وكل من آمن بالاسلام وانتظم تحت لوائه أصبح قوة ضاربة معبأة يبادر الى الاستشهاد حتى يظفر بالفوز المبين ويكون فى عداد الخالدين بالعقيدة وبالجهاد ، ظفر الاسلام بحضارات ثلاث ، **حضارة الفرس العجم** وحضارة الرومان وحضارة الفراعنة ، كما جعل الاسلام من القاعدة العربية الارضية المتينة التى رد بها على بنى اسرائيل بعزم و تصميم وبنى عليها صرح الحضارة العربية الشامخ التى عاركت الحياة والوجود وبقيت لحد الآن فى عداد حضارات العالم الرئيسية بفضل الفتوحات الاسلامية ، وبفضل تجنيد العرب وجهادهم فى سبيل الله ، صارت اللغة العربية لغة الكتاب المبين ، المعبر القيم للحضارات الغابرة ، عرفت بتاريخ الهند القديم ، وبتاريخ الصين ، كما سطرت المعالم الاولى لتاريخ الاجتماع فى

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

المغرب ، وتاريخ العلوم فى المشرق ويكفى أن نستشهد هنا بابن خلدون و بالبيرونى .

لم يعق اللغة العربية التعبير عن فلسفة اليونان والفرس والهند والرومان ، كما لم يعقها أن ترسى قواعد الجبر والكيمياء والفيزياء والرياضيات ، وما تبقى من كتب البيرونى يغنى عن المناقشة والاستشهاد بمزايا اللغة العربية وقدرتها على استيعاب عيون الحضارات السالفة ، والتعريف باختراعات وابتكارات قادة الفكر فى الماضى .

اذن بالعقيدة وبالجهاد وبتنظيم القبائل العربية ، تنظيم البدو الرحل ، وبالفتوحات لنشر الدين الحنيف ، وبث دعوة محمد ، أصبح للعرب والاسلام شأن عظيم ، وتاريخ حافل ، كبير ، طبع به الانسانية جمعاء قرونا طوالا ، وبنى الغرب نهضته على الحضارة العربية ، وكانت اللغة العربية هى اللغة السائدة ، لغة العارفين الباحثين فى الكنيسة فى اسبانيا وفرنسا وايطاليا ، ومن ينكب على دراسة النهضة الاوروبية فى القرون الوسطى يرى تأثير فلسفة ابن رشد وابن طفيل وابن سينا والمعرى ، وابى حيان التوحيدى ، أفكار مترجمة برمتها الى اللاتينية ، أدت الى خلق مدارس الفكر الفلسفى الاوروبى وحتى الفكر العلمى كالطب مثلا . والدكتور عبدالحليم منتصر فى عدد اغسطس ١٩٧٠م لمجلة العربى فى مقال عنوانه تعريب العلم يطالب بمتابعة كل ما ينشر من الكتب والمطبوعات والدوريات فى اللغات المختلفة من انجليزية وفرنسية وألمانية وروسية ، ثم يقول :

علنا بذلك نعيد عصر المامون الذى جمع جمهرة العلماء وأنفق على

الترجمة بسخـا حتى تم فى عهده نقل التـراث الاغريقى الى اللغة العربية واعتبر بذلك واضع أساس النهضة العلمية فى العلم الاسلامى الزاهر وحافظ التراث الاغريقـى من الضيـاع . تلك النهضة التـى قـدمـت لاوروبا زاد نهضتها العلمى ، فقد ظلت مؤلفات العلماء العرب من أمثال الكنـدى وابن الهيثم والخوارزمـى والخازن وابـن سينـا والبتانى والبيرونى والرازى وابن النفيس وغـيرهـم ظلـت المراجـع المتعددة فى جامعـات أوروبا حتى أواخر القرن ١٧ والقرن ١٨ فقد نقلت الكتب العربية الى اللغات الاجنبية وطبعت عشرات المـرات لتكـون بين أيدى الدارسـين فى معاهد أوروبا طيلة .

تذكيرنا هذا الموجز لأسباب نشـر الحضارة العربية الاسلامية منذ الدعـوة المحمدية من القرن السابع الى القرن الخامس عشر بعـد المسيح أى بعد انهيار العرب فى الاندلس فى (١٤٩٢) انمالنبين ، ان الحضارة كائن حـى ينمو ويترعرع مع وجود أهلها وأصحابها وان الحضارة لا تنفصم عن وجود الأمم فى جميع مظـاهـر حياتهـا فى آمـالها ونشاطاتها فى انتصارها وفى هزيمتها ، فى بقائها وفى فنائها .

اننا فى يوم من الايام اخذنـا الـكلمة باسـم جبهة التحريـر الوطنـى الجزائرية وربطنا كفاح الجزائر بالدفاع عـن عـروبتـها واسـلامها و كان ذلك فى احدى مؤتمرات ادباء العرب وأمـام الدكتو ر طـه حسين ، فمـا كان منه الا أن رفض أن يربط الادب بالسياسة ، ومنذ ذلك الحين ونحن نفكر فى هذا الموقف ولا زلنا نصر وأكثـر من أى وقت مضـى وخاصـة بعد استقلال بلدنا العزيز بربـط الادب بالسياسة أى بجعـل معـركتنـا الحضـارية فى اطـار

اختياراتنا الاشتراكية لانه لايمكن لحضارتنا اليوم أن تنهج منهج التجربة الفردية أن تسلك سبيل المجهود الفردى ان تحذو طريق من يسرد حياته عبر الايام ويعبر عنها فى أسلوبه الخاص ليصبح نموذجا لمن يريد أن يصل الى القمة بمفرده منعزلا عن أحداث أمة برمتها ، معتكفا فى برجه العاجى ينظر الى أمور الادب نظرة التقنى المتخصص لينقد وينتقد ليبقى على هامش المصير .

ومدرسة احياء اللغة العربية واحياء التراث الاسلامى تنسى ان وجودنا اليوم يقتضى مجابهة صراعات أخرى متفاعلة مع الاحداث فى عالم تغير تماما عما كانت عليه بلادنا حتى فى بداية القرن العشرين .

طريقة محمد عبده وقبله جمال الدين الافغانى المعتمدة على التفسير الحديث ـ مثلا ـ للقرآن والهاب الشعور واذكاء الضمائر للنهضة غير كافية لانها تعتمد على التأويل لجعل تعاليم الدين تطابق مبتغيات العصر دون ان يحدث تغيير يذكر فى المجتمع الذى عاش فيه عبده وجمال الدين الافغانى ، وهذا ايضا لجهل مقتضيات الجغرافية السياسية العصرية .

فالاصلاح فى الجزائر ـ مثلا ـ بخصوص الدين أتى على أسس من الواقع وسياسة الدفاع عن النفس وتنازع البقاء ولم يأت فقط لزيادة ألوان فى الفكر باعثها الخيال والالمعية .

فمثلا ، عند ما أوجز ابن باديس فى مثلث واحد الحفاظ عن وجودنا بقوله : „ الاسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا „ أعطانا السلاح الفكرى لنقاتل به دفاعا عن بقائنا فوق هذه الارض

بذاتيتنا وشخصيتنا . وعند ما نظم الشيخ البشير الابراهيم تعليم شعبنا باللغة العربية عن طريق المساجد الحرة والمعلمين الاحرار معبئين مثل المجاهدين بروح الايمان والحرية فاننا نجد ان الشعب الجزائرى امتحن فى معتقده وفى مقومات وجوده وخرج منتصرا بعد ما عارك الحياة فى كل مظاهرها السيئة وطبق بواقعية ملموسة ما أراد له رواد فكره ، فكان المفكر فى محك الاحداث لا مجرد استنتاج أو تأويل لشرح الشرح أو العنعنة المحفوظة ، أعطينا مثل الجزائر وهى تؤدى معركة التحرير مع معركة المعتقد والحضارة التى تنتسب اليها كدليل قاطع لضرورة ربط الحضارة بوجود الشعب فى جميع مراحل الحياة وجميع النشاطات الثقافية والعلمية والدفاعية .

تجربتنا فى الجزائر تزداد قيمة وبرهانا عند ما نتأمل فى أحداث الشرق الاوسط الراهنة وتأثيرها على مستقبل الحضارة العربية الاسلامية .

فبعد ٥ حزيران ١٩٦٧ م أصبح المفكرون والساسة فى الشرق الاوسط يتساءلون عن مصيرهم ومصير الحضارة العربية الاسلامية عن وجودهم وعن أراضيهم ، فربطوا بين سرعة ضربة العدو وعمق ذهولهم ، وصاروا ينتقدون المستوى العلمى والثقافى السائد فى بلادهم ، وسخطوا على عجزهم وجهلهم فى ميادين التقنية الحديثة ، وراحوا يعزون الهزيمة الى عدم استعدادهم للحرب الالكترونية الحديثة ، وطغت هذه النغمة فى جميع المحافل والاوساط فى الشرق الاوسط ولم نعد نسمع الا هذه الجملة : **خسرنا الحرب لاننا لم ندخل عصر الذرة ولم نعرف حضارة الآلة .**

وقرأنا فى احدى المجلات العربية مقالا لأحد الاساتذة فى جامعة مغربية ، يعزو الهزيمة الى حضارة الكلام والفجر والتبجح والعنتريات الفارغة التى لم تتغير من عهد المعلقات فى وقت عنترة بن شداد وعمر بن كلثوم .

طبعا ، اننا لا نشاطر رأى هذا الاستاذ لعدم اعتباره أسباب ودوافع الصراع فى الشرق الاوسط وظروف تطوره ، وتاريخ أحداثه وهى المنطقة الحيوية بالنسبة للمعسكرين الغربى والشرقى كممر استراتيجى وكمخزن عظيم للطاقة والمحروقات .

نعم منذ ٥ حزيران ـ جوان ـ ١٩٦٧ م ، والشرق الاوسط فى أزمة فكرية حادة ، فى أزمة مصير ، أزمة حضارة ووجود .

لقد سمعنا احدى الشخصيات الشرقية الكبيرة المتضلعة فى علوم الدين الاسلامى ، وهى تتساءل عن مصير القومية العربية بعد جوان ١٩٦٧ م .

هذه الشخصية كانت تدلل بأن مصر هى التى ورثت بفضل الازهر الدفاع عن العروبة والاسلام ، وهى التى صمدت قرونا طوالا فى سبيل التثقيف الدينى وتبينت الدعوة المحمدية العربية الاسلامية وبثها ، وان مصر تخلت عن الفرعونية ، وأصبحت مهد الحضارة العربية الاسلامية ، وحيت بذلک وتابعت رسالتها الحضارية ، ولم يک مصيرها مصير حضارة الفرس والرومان .

على هذا الاساس خاطبت هذه الشخصية الولايات المتحدة الامريكية متسائلة ، كيف يصح لهذه الدولة العظمى وهى التى أنقذت العالم من كارثة النازية أثناء الحرب العالمية الثانية ، أن تساند نازية

أخرى وهى الصهيونية ، وتريد أن تمكنها من أرض العرب وتساعد على اذلالهم والحط من شأنهم ، وراحت الشخصية تحذر الولايات المتحدة من الاستمرار فى الغلطات مثل تلك التى مكنت الشيوعية من الاستتباب فى الاتحاد السوفياتى (هكذا) ، وان تمادت الولايات المتحدة الامريكية فى غيها ، فمن يمنع الشيوعية من بلاد العروبة والاسلام ؟ .

هذا الحديث قديم فعلى عهد المستشرق ماسينيون كانت الفكرة فى اتحاد المسيحية والاسلام ضد الشيوعية فى الصراع الفكرى .

اليوم اننا نرى التعايش السلمى يتجاوز هذه الافكار ويغلب عليها المصالح الاقتصادية والاستراتيجية .

أوردنا هذا الحديث للتدليل على أزمة الحضارة السائدة اليوم فى الشرق الاوسط . مفكرون يربطون الآن بين سيادة بلادهم وأهمية الدور الذى تلعبه فى الميادين الدينية والثقافية لتبصير الآخرين بالخطر الذى يرونه والذى يمكن أن يمسهم جميعا .

وهؤلاء المفكرون قدامى فى تفكيرهم وفى أسلوبهم ، عتادهم قديم ووسائلهم بالية والتعبير عنها اظهار لأزمتهم .

عندما انتصرت الجزائر لشخصيتها ولمعتقداتها وضحت بمليون ونصف مليون شهيد وعند ما خاضت الجزائر معركة الوجود المريرة لم تتساءل هل العدو المقابل سوف يسحقها بمالديه من عتاد الكترونى وذرى اليوم أو غدا ، فكانت ارادتها ان توجد أولا وان توجد بما هو معروف عنها من عروبة واسلام وبما هى تنتسب اليه من أمة عربية وحضارة عربية اسلامية .

واليوم والجزائر تقوم بثوراتها الثلاث الثورة الصناعية والثورة الزراعية والثورة الثقافية لا بد وان تجعل هذه الثوارات فى اطار من العصرية والتقنية بمكان ولا بد أن تتساءل عن مصير الحضارة التى تنتسب اليها ولا بد أن تساهم فى تشييدها وفى احيائها وتقويم اعوجاجاتها .

لقد انتهى دور التقليد ، فللجزائر تجارب لم يخضها العالم العربى بعد ، للجزائر انضباط وسلوك ثورى لا يعرفه العالم العربى بعد ، للجزائر صيت عالمى فى التحرر والتغيير والتجديد والاندفاع ، على مثقفيها ان يسجلوا أبعاد ثورتها الشعبية كمساهمة فى حضارة العرب فى القرن العشرين ، التجربة الجزائرية تجربة شعبية اشتراكية ليست تجربة فردية أو نجاح فرد تلمس طريقه ثم ضرب بنفسه مثلا كآلهة .

فمثلما نجحت الجزائر فى اثبات كيانها الوطنى لا بد أن تأتى تجربتها الثقافية الحضارية مكرسة لحياة ووجود ونجاحات الشعب الجزائرى ، وهذه النجاحات نجاحات الانسانية المعذبة التى اهتدت الى سبيل السعادة والعمل والخلق والابتكار والتى ظفرت بقادة تسكنهم همم الرجال الذين دخلوا التاريخ بالاعمال لا بالاقوال .

ثم مساهمة الجزائر فى بناء صرح الحضارة العربية الجديد العصرى ستزداد قوة ومكانة بمساهمة بلاد المغرب العربى ، وليس فيها فصل او تباين بين الشرق والغرب ، وكذلك ليس هناك نية فى الاحتكار أو الانفراد بأية زعامة ثقافية ، لاننا نريد قبل كل شىء أن نكون نحن ثم نعتنى بتجارب الآخرين ثم نساهم بما عاركناه وبلوناه

فى الحياة .

فالاطارات التى نثقفها لا نأمل أن تكون بضاعة فى السوق نؤجرها ونقضى بها بعض المآرب أو لنتخلص من مشاكلها ، وانما نريدها أن تكون خميرة الصعود وبذرة الرقى والتغيير والتطور فى تحقيق الاهداف الاشتراكية لا النجاحات الفردية التى تجعلها نخبة منحلة منفصلة عن واقع الشعب تعيش على هامش المصير والاختيارات الوطنية .

ثورة الجزائر التى لم يعطها الكتاب العرب حقها من كتابة ومن تعريف والتى تغنى بها بعض الشعراء العرب كملحمة وكمفخرة على النمط والاسلوب العربى القديم ، أمامها مستقبل فكرى عظيم ، فلا بد أن يسكن الطموح ابناءها للتعريف بها ولادخال ابعادها فى الحضارة العربية التى لا تزال تتسم بالفردية والتى تتساءل فى الشرق عن مصيرها بعد جوان والتى هى اليوم فى اعتى امتحان تكون او لا تكون .

فالحضارة مجموعة من الاعمال والابتكارات والنجاحات المادية والروحية ، لقد أتى دورنا لقد حانت ساعتنا ونحن نبنى ثوراتنا الثلاث لنخلق أدبا من حياتنا وعلوما نابعة من تجاربنا وأخلاقا سامية برهن على جديتها شهداؤنا فى أروع جهاد عرفه تاريخ العرب والاسلام .

الثورة الثقافية فى الجزائر لابد أن تكون فى مستوى ثورتها السياسية العارمة الثقافة والعلم للجميع والمعرفة والعمل للجميع هكذا نعطى للمشرق ولغير المشرق مثل انتفاضة الشعوب فى القرن العشرين ، وهكذا نعطى بعدا جديدا فى حضارة القرن العشرين .

لنعلن من هذه المنصة من صخرة قسنطينة ان عهد التبعية الثقافية

قد انتهى ، وان عهد الفكر والاختراع والابتكار والتجارب قـد بدأ فى الجزائر وان الشرح وشرح الشرح قد ذهب الى غير رجعة وان مركبات العجز والفشل قد فات أوانها وان التقليد لن يعـود غاية لنا ، ان مصيرنا بأيدينا واننا لا نتساءل عما سنعمل وعمن سنكون .

لقد سبقتنا ثورة مسلحة واننا سـاعـون فـى ثـورات ثلاث واننـا غـير مذبذبين فى الرأى ومراهقين أو عـاطفيين أو خياليين ، اننـا آخذون بأسباب الثقافة والحضارة وبعد أن تعرفنا عـلى أوضاع الشرق الاوسط الشئ الذى كنا محرومين منه على عهـد الاستعمار وبعد أن مرت بنـا التجارب والمحن وعلمتنا الحياة اعتبار مسـيرة شعبنـا الداخلية والتركيز عـلى تغيير أوضاعـه وتثقيفه والانكبـاب عـلى مصالحه واعتبار واقعه لصهر ثقافته والاخـذ بيـده كليـا فى جميـع الميادين لا يمكنـنا فى الفترة الراهنه الا أن نعتمد عـلـى أنفسنـا ولأمـد طويل لخـلق الثقافة الوطنية التى تجعلنا نقـول ان الثورة الثقافية الجزائرية هـى نتاج أدمغة الجزائريين الذيـن ساهمـوا فى التراث الانسانى ولقد أتت ثورتهم المسـلحة ومثـل ثـورة الاسـلام الاولى التى أعطت غـذاء للاجيـال طيلة القرون السابقـة .

فبعد أن فسح لنا شهداؤنا مجال الاستقلال والسيـادة واسعـا . فتكوين الادمغة الجزائرية لن يكفيه التغذية بألـوان حضارة العـرب الماضية أو التشبع بمعارف الغـرب كفرنسا وغـيرها فلا بد أن يجتاز بناحب المعـرفة الـى اكتسـاب مـا يسميـه البعض اليـوم حضـارة الصعـود الى الكواكب حضارة سر الذرة والالكترون ، فعهـد جمـال الدين الافغانى ومحمد عـبده وطـه حسـين والعقاد قـد فات ، ان

استقلال الجزائر وازمة الحضارة العربية بعد جوان ١٩٦٧ م يوجبان علينا ان نغير كليا افكارنا وان نبنى على اسس جديدة وجدية حضارة المستقبل فى بلدنا التى هى لا فردية ولا تقليدية ولا كلامية وانما حسب الواقع والملموس والنقد والبحث العلمى والفكرى المنظور ابدا .

اننا ندعو جميع المثقفين فى بلدنا الحبيب الى مراجعة الافكار والى اعلان بدء العهد الجديد حتى لا يكون بناء صرح حضارتنا منقوصا معتمدا على التقليد البالى وعلى تجارب الآخرين الغير الناجعة أو تحقيق خرافات من مات وفات من الاجداد الغابرين .

فكما نرى ليست معركة الحضارة اليوم فى استعادة اللغة وحفظ التراث الماضى فقط وانما بناء المستقبل باسم المستقبل وما يستلزم ذلك من تغيير فكرى واجتهاد ونقد وتمحيص .

فثورتنا الثقافية ليست أهدافها قريبة فقط وانما هى بعيدة حتى لا نفشل فى معركة النفوس معركة الادمغة معركة الايمان والاعتزاز بالوجود والتى يعانى منها اليوم الشرق العربى .

ومن يتعدى لتاريخ الحضارة فى بلدنا يرى انه تعاقبت علينا حضارات متتالية من الفينيقيين الى الرومان الى الوندال الى العرب الى الاتراك ثم الى الفرنسيين واننا لم نتأثر بها فحسب بل أثر فيها بعض من اعلامنا على الاقل كحضارات الرومان والعرب والفرنسيين فالى اليوم يعتبر القديس اوجستان أحد آباء الكنيسة الكاثوليكية وكتابه „ بيت الله „ احدى المراجع للمتدينين المسيحيين ، اما الحضارة العربية فقد أسهم فيها علماؤنا ومن يريد استقصاء البحث

علـيه أن يراجع كتاب „ عنوان الدراية فى تاريخ عـلماء بجاية „ ـ و „البستان فى تاريخ علماء تلمسان „ ثم كتاب „ نفح الطيب „ للمقرى و „ مقدمـة ابن خلدون „ التى كتبها صاحبها بالقرب من مدينة تاهرت الجزائرية .

ثم هناك شخصيات فذة لعبت دورا تاريخيا عظيما مثل ابن تومرت.

اما الحضارة الفرنسية فالى حد الآن يمكننا أن نعد بعضا مـن الكتاب الجزائرين الـذين تأثروا بالثقافة الفرنسية وتشبعوا بها .

وهذه التأثيرات فردية أتت عـن سـلـوك وطمـوح فـردى لا يمكننـا أن ننعتها بانها الثقافة الوطنية أو بالمثـل الـذى يجب أن يحتذى بـه وانمـا هى للتدليل على انعدام الثقافة الجماعية والمجهـود الثقـافى الجماعى المعبر عن مسيرة أمة برمتها وهى تنهض بمهـام الخروج من التخلف والفقر والجهل .

ان **الدولة الجزائرية** التـى تعطـى الـيـوم التعليم الابتدائـى والثانوى والعالى مجانا لمليونين مـن ابنائنا والتى تشد العزم عـلى اعطاء السيادة المطلقة للغتنا العربية بعد حرمان شعبنا منها طيلة قـرن ونيف كونت **لجنة وطنية لاصلاح التعليم ولجانا فرعية فى الولايات** حتى تضمـن لبلدنا تعليما ناجعا وثقافة صالحة وحضارة حسية مبنية على الملموس والواقع والمعرفة الصحيحـة .

حينئذ لا يضمن النجـاح للتجـربة الجزائـرية الا اذا اجتـازت الدائرة العـربية العتيقة وتخطـت البحـث عن „ **كان العـرب وكان الاسلام** „ وأصبحت تترجم ذاتيتهـا وعبقريتهـا بالمنطـوق الحديـث وأسس عالمية العلوم العصرية بالبحث والتجربة والتمحيص والتبادل

العلمي والتجارب العالمية فى الاختراعات والابتكارات ، ولا بد من تعلـــم اللغات الرئيسية العالمية

لتكون لنا المدخل للعلوم التى لا بد مـــن كسبهـا لنضمن الوجود والبقاء فى عالم القرن العشرين والواحد والعشرين .

فروسيا تأخذ عن أمريكا ، وأمريكا تأخذ عن أوروبا ، والصين تأخذ عن روسيا وأمريكا ، ونحن يجب أن لا نبقى متأثرين بالكلاميات والادبيات فقط ، أو نبقى محدودين عند عاصمة معينة .

فتخطيطنا الثقافى ينبغى ان يقيس انتاجنا الفكرى ، لا بروائـع ماضينا فحسب ، بل بما يمكن أن يؤثر فى الانسانية جمعا ، ويجعلها من روائع الفكر العـــالمى الحـــديث .

هكذا نرى مستقبل حضارتنا العربية الاسلامية مستقبلا يمر اجباريا بتفوقنا الثقافى والعلمى والتقـــنـى يتغـذى من سياستنـا الاشتـراكية المضطهدة ، تستثير به للخروج من الظلـمـــات التـــى تتخبط فيها . حينذاك تكتب لنا الحياة ، ونكون صالحين ونرث الارض ، قال تعالى : **« ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »** ، وقال **« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجـــات »** .

عند ما نطالب بتجاوز الاطار العربى العتيق والدخول الى عصر التقديم التكنولوجى دون تردد لان التجدد أصـبـح ضرورة حتمية ملحة وحياتية ، لا بد لنا من أن نفهم رمـــوز العالم الجديد وان نساير ركب الانسانية المتحضرة ، اننا ثرنا ثورة مسـلحة لنـدك حصـن التخلف ولنتقدم أبدا ، والا فما معنى التضحيات ان عدنا الى الجمود والماضى البالى .

لقد رأى أحد علماء الاجتماع فى الغرب ان الشرق فى سعيه اليوم وراء حضارة الآل أصبح شرقا ثان ، ليس ذلك الشرق الذى تعلم عنه الصليبيون والذى نقل حضارات العجم واليونان والرومان الى أوروبا فى القرون الوسطى ، وحتى ذلك الشرق الذى تأثر به الكاتب الالمانى جوته أو الذى تعرفت عليه أوروبا و كتابها الباحثون عن الخيال وعن النور بعد حملة نابليون على مصر .

شرق الاستلهام ، شرق الخيال ، شرق الاخلاق والادبيات ، هذا تغير وأصبح هو نفسه يبحث عن الآل وهى عبارة فى القواميس معناها السراب ، ولكنها حقيقة وقوة الدول العظمى التى توزن بثقل اختراعاتها وآلاتها على أمن وسلامة العالم .

اننا اليوم فى الشرق العربى وفى المغرب العربى ، نبحث سويا تقريبا فى نفس المستوى عن حضارة الآل ، والمعلم هو المجتمعات التى بلغت شوطا بعيدا فى التكنولوجيا فى أوروبا وفى أمريكا وفى آسيا .

ان التزامنا بالتكنولوجيا شرط أساسى للبقاء . ان الاستعمار بالتقدم التكنولوجى يتوسع على حساب المجتمعات المتخلفة فى بلاد العالم الثالث ، ولا بد أن نتسلح بسلاح التكنولوجيا ، للحد من الظلم ، والنهب الاستعمارى الشره ، وهذا هو السر فى اتباع سياسة الاكتفاء الذاتى .

فالحضارة الصناعية تمكننا من نفوذ مادى عظيم يسخر لنا امكانيات طبيعية ومدهشة ويصون استقلالنا وسيادتنا التى هى شرط أساسى لنمو شخصيتنا وحضارتنا .

ولقد سبقنا ابن رشد وابو حيان التوحيدى الى فلسفة الاستلهام الطبيعى وكان ابن رشد يرى أن الطبيعة قاعدة يتدرج منها العقل الجماعى .

وهذا دليل على تفتح التراث العربى نحو الطبيعيات .

نعم شرق عربى ومغرب عربى فى نفس التساؤلات ونفس التأملات نحو الوجود والبقاء والتجدد والاصالة كل يأسف على اننا لم نكن نساهم بشى فى عهد البخار وعهد الكهرباء واليوم فى عهد الذرة والالكترون وكل يعزو مصابه الى التخلف التقنى والفنى وكل يبحث عن الطريق المثلى فى الاخذ بتلك الحضارة التى يطالب بها أحد فلاسفة الاجتماع الغربيين بان تمنح للفرد والجماعات امكانيات التحول المستمر بين الاشياء والسمات بين الافعال والكتاب بين الطاقات والرموز .

اننا لا نريد التضييق على انفسنا وحشرنا فى دائرة مغلقة ، فالشرق العربى منذ حملة نابليون وهو يوفد البعثات الى أوروبا وأمريكا ليغترف من العلوم الحديثة ، فالشرق نفسه يسعى لاقامة صناعات ولدخول عصر الذرة والالكترون ، فالشرق يترجم ويتعلم ويتفتح ، لقد لاحظنا هذه السنة ظاهرة معبرة فى الشرق العربى ما من مجلة فى العالم العربى الا وكتبت عن حياة لينين واشادت بمواقف الرجل بمناسبة مرور مائة عام على ميلاده .

الصراعات الفكرية والاتجاهات السياسية المختلفة تغير من فكر الشرق وتهيئ لعهد جديد فى خضم الصراع الدولى المتهافت على خيرات البلاد العربية .

هذه الظواهر بعثت أحد الكتاب الاجانب الى اعتبار الشرق انه أصبح شكلا ثان أى ان الشرق الذى كان يلهم أصبح يستلهم .
ودعوتنا الى بناء ثقافة وطنية انما هى استيفاء لشرط من شروط وجودنا الحر المستقل الذى يحتفظ بشخصيته مع الاقتران بالتقدم التكنولوجى.

نعم نحن هنا فى الجزائر نبنى وجودنا دون أن تأخـذنا الحيرة ودون تردد ، والحـافز العظيم فى هذا هم الشهـداء الذيـن بنـوا استقلالنا ودكوا العقبات التي كانت تعـترض طريق شعبنا دون حـيرة ودون تردد لاننا انقذنا من مرض وضعف الخاملين اليائسين المتسائلين فى أمرهم الذين لم يستطيعوا دك حصون واسوار الظلم والاستبـداد ، اننا لاحظنا فى الشرق العـربى قلـة الكتاب الذين يتناولون الثورة الجزائرية كمجهود انسانى جديد جبار و كطريقة للانقاذ والنهوض من العدم .

اننا مثلا قرانا فى مجلة العربى الشهيـرة مقـالا بقلـم رئيس تحريرهـا الدكتو ر احمد زكى بعد ازمة حزيران بمناسبة مـرور ٣ سـنوات عـلى الهزيمة تناول الكاتـب عـددا من الثـو رات مركزا على الصمود وذكر ثورة الفيتنام التى نجلهـا ونقدرها ، وذكر صمود انجلترا أمـام هتلر وعظمة تشرشـل ولـم يذكر كلمة واحـدة بخصوص الثـو رة العربية فى الجزائر التى حققت اهـدافا جـلى

كل التراب الجزائرى تحـرر لا قواعد ولا سيطرة سياسية أو مالية لاجنبى وشعب برمته ينهض دون قيود وعوائق معبأ كله للصالح العام ، لماذا هذا التجاهل لمـاذا هـذا التناسى والعـالم الثـالث كله يذكر باحترام وتقدير معجزات الثـو رة الجزائرية التى انتصـرت

بالسلاح والتى هى فى طريقها الى تقييظ جيش من المفكرين والمثقفين ومن الفنيين والعلماء لتحقيق نصر مبين فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والصناعة عددا وعدة لبناء الحضارة فى بلدنا بأنفسنا ولتشع بدورها على غيرنا بمساهمتنا فى التراث الانسانى العالمى .

خطواتنا مليئة بالثقة فى نفوسنا . مثل تلك الثقة التى مكنت المجاهدين عندنا من احراز الغلبة فى ميادين الشرف والقتال .

اننا ضربنا أمثلة بالكفاح الجزائرى وبالصراع فى الشرق الاوسط والبحث عن المصير مرتبط بالتصدى الى مشاكل حضارتنا العربية الاسلامية وأكدنا على ضرورة الدخول بها الى الحضارة الصناعية والتكنولوجيا والاسلحة اليوم فى متناولنا الكتاب والسنما والتلفزيون والمصنع والجامعات والمعاهد الثقافية والتكنلوجية ، علينا فقط أن نخطط اختياراتنا وان نخوض التحديات بايمان فى النصر مع اليقين وبآمال الكادحين الذين يسعون دوما فى سبيل حياة أفضل ومستقبل باسم مشرق .

فجيلنا لا بد أن يعيش مع زمانه وان يصارع مشاكله الحاضرة والمقبلة ، لا فائدة فى البكاء على الماضى ، لقد عادت لنا الحرية وعادت لنا السيادة ورقص شعبنا لها وفرح بها ولا بد الآن من أن يضمن البقاء والخلود لأبنائه فوق أرض يغيرها وبآلة تغيره وتطور مجتمعه

بلد أعطى المثل فى الكفاح المسلح لا بد أن يحقق المعجزات عن طريق المختبرات والاختراعات فى البناء والتشييد فى الفنون

المعمارية والصناعية والهندسية ، والاوائل سبقونا الى هذا فى الاندلس وفى تاج محل روعـــات وآيات هندسية تصدى لها باعجاب كتـاب عالميون مثل مالرو المستنطق للحضارات العظيم .

سكنت حضارة العرب منذ القرن الخامس عشر بعد المسيح لان العرب غلبوا واليوم ينهض العرب رويـــدا رويدا يتخبطون فى صعوبات لا حد لها ويدركون شيئـا فشيئا ان القـوة سر الوجـود وان الشعـر والخطابة لا يكفيان للحياة وان الانظمة السياسية الواهيـة والهياكل البـــالـــية والمتطفلين على المسؤوليات دون تحضير ووعى وادراك كلها عـوائق فى بناء الحضارة التى تستوجب التفانى فى العلوم وفى الاخـــلاق الحميدة الفاضلة وفى الهمم القعساء التى تريد أبدا القيم فى الفنون والآداب والعلوم الانسانية فى التقدم والرقى بالشعب كله لتنهض به من عهد التخلف والجهل الى عهد رجل الفضا ء

كما نرى ينبغى لتفكيرنا وللتفكير العربى ان يتوسع وان لا يبقى متجمدا فى عهد الفقهاء القدامى او محدودا فى عهد المجددين الذين كانوا يعتمدون على التأويل الذهنى دون تحليل العناصر الاجتماعية والانسانية للمجتمع الذى يعيشون فيه ودون دراسة العالم الذين هم فيه همهم فقط الابقاء على الماضى فى اسلوب الجديد الظاهر .

الحياة لحضارتنا العربية فى التجدد وفى المقارنة وفى التحدى مع الحضارات السائدة فى عالمنا تأخذ وتعطى تترجم وتتطور تتفتـح لاتنطوى على نفسها اننا نريد لنا ابن خلدون ثانيا وبيرونى ثانيا ولكن باسلوب وطراز العصر الحديث فى البحث الجماعى والانتاج والابتكار العلمى الملموس، كفانـا من حضـارة الـكلام ولندخـل فى حضـارة

الملموس ففيها سر الحياة والوجود .

وعلى شبابنا فى هذا البلد أن يعتنق هذه المهـمة فكل الوسائل لديه وكل الشروط متوفرة أمامه .

على شبابنا أن يدرك كنه وسـر التطـور فى التكنولوجيـا وفـى الالكترون وفى علوم الفضاء بذلك يتغيـر ويتطـور فكر الامة بذلك يعرف ماضيه وحاضره وحقيقته لانه لا يمكن للانسان أن يمجد التخلف أو يفخر ويواصل التفاخر بما يجهله وبما لم يقمه بنفسه .

ولقد قال قائل :

ان الفتى من يقـول هـا انا ذا

ليس الفتـى مـن يقـول كان ابى

أصالتنا عديمة الجدوى والفاعلية بدون تجدد شخصيتنـا وتعـدد مناهل معارفنا خارج حضيرة القديم وجعجعة طواحين الهواء .

لا بد أن نكون نحن وان نكون موجودين فى قطاعات المعـرفة العصرية الحية ولقد عرفت فرنسا وانجلترا والدول الاوروبية أزمات فى الحضارة وفى الفكر وتغلبت عليها واعتنقت الكفاح من أجل الوجود بتجديـد جامعاتهـا ومعاهدهـا وبتغييـر هياكلهـا الاقتصـادية والفنية ، وأشركت المثقفين فى الاشراف والتسيير واعتنت بمشاكل الشباب ، والتعليم أيما اعتناء ، وصارت هذه المشاكل موضـوع العصر ، وكيف بنـا نحـن حديثـى العهـد بالاستقـلال وبأمـور البحـث فى التطـور والحضارات .

فتعرضنا لها واجب يمليه علينا ضميرنا وطموحنا فى بناء الدولة الجزائرية التى لن تقل شأنا عن الدول الحية التى تبذل الكثير من

الجهد والمال ومن التفكير ، لتعمل على البقاء ودوام الوجود .

فى التجدد سر وجودنا ، وفى معركة الفكر والتقنية أسباب حضارتنا.

لنعمل اذا كلنا لنساهم فى تجديد الحضارة العربية الاسلامية التى ننتمى اليها ، ولندخل فيها بعد ثورتنا المسلحة ثورتنا الثقافية ، حتى نكون أحد عناصرها البارزين الخالدين .